تاريخ العقيدة الإسلامية

الدكتور محمد إبراهيم الشربيني صقر

محاضر الدعوة الإسلامية بجامعة السلطان أحمد شاه الإسلامية ببهانج ماليزيا[1]

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى: إبراز الأساس التي تبنى عليه العقيدة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ، وتوضيح مظاهر العقيدة في عهد الخلفاء الراشدين ، وبيان السمات العقدية التي ظهرت في العصر الأموي، وشرح تطوّر علم الكلام في العصر العباسي، وبيان أهمية معالم الفكر العقدي في العصور المتأخرة. ومنهج البحث: يعتمد على المنهج التاريخي التحليلي، وذلك من خلال: تتبع مراحل تطور العقيدة الإسلامية من زمن النبي – صلى الله عليه وسلم وحتى العصر الحديث، والمنهج التحليلي لتحليل الأسباب الفكرية والسياسية والاجتماعية التي أثّرت في مسار العقيدة الإسلامية . وقد خرجت هذه الدراسة بنتائج من أهمها :أن العقيدة الإسلامية في زمن النبي- صلى الله عليه وسلم - عقيدة واحدة هي ما جاء في كتاب الله، والسنة النبوية المطهرة ، إن المسلمين في عهد الخلافة الراشدة لم يتركوا النظر في مسائل العقيدة في معرض الإرشاد، وإنما تركوا التوغل والتكلف في النظر والحوار، وإنهم ما كانوا يلجؤون إلى شيء منه إلا في معرض إثبات عقائد الدين ودفع الخصوم المتربصين.

الكلمات المفتاحية: العقيدة الإسلامية – التاريخ- النشأة- العصر الأموي- العصر العباسي.

[1]Diterima; 26 Oktober 2025. Disemak; 23 November 2025, Diterbitkan;29 Disember 2025.

History of Islamic faith

Abstract

This study aims to highlight the foundations upon which the Islamic creed (‘Aqidah) was established during the time of the Prophet Muhammad ﷺ, to clarify the manifestations of faith during the era of the Rightly Guided Caliphs, to explain the theological features that emerged in the Umayyad period, to discuss the development of Ilm al-Kalam (Islamic theology) in the Abbasid era, and to demonstrate the significance of theological thought in the later Islamic periods. The study adopts the historical-analytical method, by tracing the stages of development of Islamic creed from the time of the Prophet ﷺ to the modern era, and by analytically examining the intellectual, political, and social factors that influenced its course throughout history. The study reached several conclusions, the most important of which are: that the Islamic creed during the time of the Prophet ﷺ was a single, pure creed derived solely from the Book of Allah and the authentic Sunnah of the Prophet. Furthermore, during the period of the Rightly Guided Caliphs, Muslims did not abandon reflection on matters of belief when guidance was required, but they refrained from excessive argumentation and speculative reasoning, resorting to it only to affirm the truths of faith and refute the claims of opponents.

Keywords: Islamic Creed – History – Origin – Umayyad Era – Abbasid Era.

مقدمة البحث

تعتبر العقيدة الإسلامية أصل الدين وأساس الدراسات الشرعية، وقد مرت طوال التاريخ بمراحل كثيرة تأثرت بالعوامل السياسية والفكرية والاجتماعية التي عاشتها الأمة الإسلامية. ومع ذلك،نري ندرة في الدراسات التحليلية التي اهتمت بتطوّر العقيدة من حيث صفائها في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم- إلى اختلاف الاتجاهات العقدية في العصور المتأخرة.وتكمن مشكلة البحث في التساؤل الرئيس، كيف تطوّر علم العقيدة الإسلامية من زمن النبي ﷺ ،وحتى العصور المتأخرة مع الحفاظ على الثوابت الأصلية للدين الإسلامي؟ وأسئلة هذا البحث تكمن في الأسئلة التالية: ما الأساس التي تبنى عليه العقيدة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ ؟ وما مظاهر العقيدة في عهد الخلفاء الراشدين؟ وما أهم السمات العقدية التي ظهرت في العصر الأموي ؟كيف تطوّر علم الكلام في العصر العباسي؟ ما معالم الفكر العقدي في العصور المتأخرة ؟ ويهدف البحث إلى: إبراز الأساس التي تبنى عليه العقيدة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ، وتوضيح مظاهر العقيدة في عهد الخلفاء الراشدين ، وبيان السمات العقدية التي ظهرت في العصر الأموي، وشرح تطوّر علم الكلام في العصر العباسي، وبيان أهمية معالم الفكر العقدي في العصور

المتأخرة.وتأتي أهمية هذا البحث في أهمية نظرية وأخرى تطبيقية ،فالنظرية تكمن في أن هذا البحث يساعد في إثراء الدراسات العقدية التاريخية من خلال تتبع تطور العقيدة الإسلامية منذ زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – وحتى العصر الحديث ،والأهمية التطبيقية:يساعد على تحديد عرض العقيدة الإسلامية بلغة تناسب العصر الحديث.ومنهج البحث في هذه الدراسة : يعتمد على المنهج التاريخي التحليلي، وذلك من خلال :تتبع مراحل تطور العقيدة الإسلامية من زمن النبي – صلى الله عليه وسلم وحتى العصر الحديث، والمنهج التحليلي لتحليل العوامل الفكرية والسياسية والاجتماعية التي أثّرت في مسارها.وتحتوي هذه الدراسة على النقاط التالية : أولاً:العقيدة الإسلامية في عهد الرسول– صلى الله عليه وسلم – ثانياً: العقيدة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، ثالثاً: العقيدة الإسلامية في عهد الأمويين ، رابعاً: العقيدة الإسلامية منذ عهد العباسيين وحتى العصر الحديث.

أولاً: العقيدة الإسلامية في عهد الرسول– صلى الله عليه وسلم –

جاء الإسلام يقرر أن الدين الحق واحد، هو وحي الله إلى جميع أنبيائه، وأن أصوله ثابتة لا تتبدل ولا يختلف فيها الرسل بخلاف الشرائع العملية فهي متفاوتة بينهم، وهي حق وخير ما لم تنسخ.

قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : " أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ " (الأنعام : ٩٠) المراد بهداهم : طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة، وهي هدى ما لم تنسخ، فإذا نسخت لم تبق هدىً، بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبداً".(الزمخشري،1407 هـ، ج ٢ ، ص ٣٤) وقد تألف الدين الإسلامي من عنصرين متمايزين في الواقع ؛ أصول، وفروع. وبتعبير آخر : عقيدة وشريعة.

أما العقيدة: فقد استوفى الله أصولها كلها في كتابه المجيد وبينها الرسول الكريم بقوله وفعله أتمَّ بيان وكان – عليه الصلاة والسلام – يحاور أهل الكتاب ويجادل المشركين، ويجيب على أسئلتهم، إذا لم تظهر عليها سمة الجدل والعناد وكانت تتناول أدق مسائل العقيدة في معرفة الله، والقدر والروح، والبعث والجنة والنار، والنبوة، وحقيقة الإيمان، وعلاقة الإسلام بالأديان الأخرى (الدوري ، 2011م، ص: 28)

حكى ابن هشام أن جماعة من اليهود أتوا رسول الله وسألوه : هذا الله خَلَقَ الخَلْقَ، فمن خلق الله ؟ فغضب الرسول حتى امتقع لونه– يعني تغير– ثم نزل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾ (ابن هشام ، 1955م،ج1، ص: 571)

وعندما تلا الرسول قول الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ (الأنبياء : ٩٨) سأله فريق من المشركين : أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ كيف ذلك فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيراً، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم ..؟ فأجاب الرسول : كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو

مع من عبده ونزل قوله تعالى : " ومن يقل منهم إني إله من دونه، فذلك نَجْزِيهِ جَهَنَّم" الأنبياء: (٢٩) إلى قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى﴾ (الأنبياء: ١٠١) (ابن كثير، 1419 هـ، ج5، ص:331) وقال ابن مسعود: إني لمع رسول الله في حرث بالمدينة وهو متكي، على عسيب، فمر بنا ناس من اليهود، فقالوا : سلوه عن الروح، فقال بعضهم : لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون، فأتاه نفر منهم فقالوا: يا أبا القاسم ما تقول في الروح؟ فسكت، ثم قام فأمسك بيده على جبهته فعرفت أنه ينزل عليه. فأنزل الله عليه : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ الإسراء: ٨٥ (الواحدي، 1411 هـ ، ص 301) ولكن الرسول الكريم لم يكن يلجأ إلى الحوار أو الجدل إلا في مقام دعوة الخصوم إلى الدين الجديد، وصرفهم عن أباطيلهم، إذا ما تبين له استعدادهم لذلك، وكان ينهى المسلمين عن ممارسته بقصد تحصيل شيء من أصول الدين، ويأمرهم بالوقوف فيها عند ما جاء به.

وأما الشريعة: فقد اشتمل الكتاب المجيد على مبادئها وأصولها العامة وأكثر أحكامها الجزئية، وبين الرسول الكريم تلكم المبادى والأصول ونماها بما سنه من قواعد عامة، ومن أحكام جزئية، كما أنه ترك الباب مفتوحاً لإنمائها وذلك بتقريره لمبدأ الاجتهاد والنظر.

فهم صحابة الرسول تلكم المعاني، فكانوا يكرهون البحث والجدل في أصول العقيدة، ويرون أنه لا سبيل إلى تقرير شيء منها إلا بالوحي. بينما كانوا لا يتحرجون من النظر والاجتهاد في الشرائع العملية. (الدوري ، 2011م، ص:30) وبالجملة فقد مضى زمن النبي والمسلمون على عقيدة واحدة هي ما جاء في كتاب الله، لأنهم أدركوا زمان الوحي وشرف صحبة صاحبه، وأزال نور الصحبة عنهم ظلم الشكوك والأوهام .(طاشْكُبْري زَادَهْ ، 1985م ،ج ٢ ص ٣٢)

ثانياً: العقيدة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين (11–40 هـ)

بقي حال العقائد في هذا العهد على ما كان عليه في عهد النبي ﷺ فلم يقع فيه خلاف يذكر في مسائل العقيدة. وإنما وقع خلاف في جملة من المسائل العملية كان غرضهم منها إقامة مراسم الشرع، وإدامة مناهج الدين.إلا أن بعض تلكم الخلافات العملية ارتفع شأنها وتعاظم خطرها حتى صارت ذات صلة بمسائل العقائد، وأساساً لقيام كثير من الفرق الإسلامية فيما بعد، وكان أخطر خلاف حدث عقب وفاة النبي مباشرة هو اختلافهم في الخلافة، وموضوعه : من أولى الناس بخلافة النبي في حكم أمته ... رجل من الأنصار الذين أورا ونصروا ؟ أم رجل من المهاجرين الذين سبقوا إلى الإسلام وأوذوا وصبروا ؟ أم رجل من عترة النبي وآل بيته – عليهم السلام ؟ ثم استقر

الرأي على استخلاف أبي بكر ، وبذلك سكن الخلاف، ليعود قوياً متشعباً، ويصبح سبباً لافتراق المسلمين فيما بعد.(الإسفراييني،1983م ، ص26)

واختلف المسلمون في عهد أبي بكر في قتال مانعي الزكاة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:

"لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ."(صحيح مسلم ،دت ،كتاب الإيمان، بَابُ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، برقم : 20) والظاهر أن هذا الخلاف كان أصلاً لما حدث – بعد ذلك – من الخلاف في الإيمان وتضمنه للعمل أو عدم تضمنه له. وبعد أن بويع علي بن أبي طالب اختلف الناس في خروج طلحة والزبير وحربهما إياه وفي إنكار معاوية لإمامته وقتاله إياه، وفي التحكيم، وفي مخالفة الخوارج له وخروجهم عن طاعته ومناصبتهم العداء له ،وفي عهده ظهر خلاف الغلاة من شيعته وهم الذين تجاوزوا الحد في تقديسه حتى اعتقدوا أنه إله الخلق مما حمله على قتلهم وتحريق بعضهم بالنار.

كانت تلك جل الخلافات التي حدثت بين المسلمين في هذا العهد. وهي كما ترى مسائل عملية، إلا أن بعضها كالخلافة .. صار أساساً لخلافات عقائدية، وسبباً في نشوء كثير من الفرق الدينية فيما بعد.وأما العقيدة فلم يحدثنا التاريخ عن وقوع خلاف بينهم في شيء منها. وكان منهجهم في تقرير العقائد الدينية قائماً على النقل في غالب أمره، ولم يلجؤوا إلى البحث والنظر وممارسة الحوار والجدل إلا في مقام دعوة الخصوم وصرفهم عن عقائدهم الفاسدة.

من ذلك قول أبي بكر في تقرير مخالفة الله للحوادث: (الْعَجز عَن دَرك الْإِدْرَاك إِدْرَاك) وقد شرح الإسفراييني قوله هذا بأنه " إِذا صَحَّ عنْدك أَن الصَّانِع لَا يُمكن مَعْرفَته بالتصوير والتركيب وَالْقِيَاس على الْخلق صَحَّ عنْدك أَنه خلاف الْمَخْلُوقَات." (الإسفراييني،1983م ، ص: 160)

وتعرض عمر لاعتراض في القدر من قس إذ كان قائماً يخطب الناس بالجابية، فقال في خطبته : " إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءَ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءَ ، فَقَالَ قِسٌّ مِنْ تِلْكَ الْقُسُوسِ: مَا يَقُولُ أَمِيرُكُمْ هَذَا؟، قَالُوا: يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، فَقَالَ الْقِسُّ: بَرَقَسْتَ– برقس الكلام : أي خلطه– ، اللَّهُ أَعْدَلُ أَنْ يُضِلَّ أَحَدًا، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: بَلِ اللَّهُ أَضَلَّكَ، وَلَوْلا عَهْدُكَ لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ." (الخطيب البغدادي،

2002 م ،ج13، ص: 172) ويروى أن أبا موسى الأشعري ناظر القائلين : كيف يقدر علي شيئاً ثم يعذبني عليه قائلاً لهم : قدر حيث علم، وعذب حيث لم يظلم.

وكان الإمام علي أكثر الصحابة لجوءاً إلى المناظرة والجدل، وذلك يرجع إلى أنه كان من أكثرهم مشاركة في توجيه الأحداث ومتابعتها، كما كان من أبرز الذين امتد بهم العمر إلى مرحلة دخول المجتمع الإسلامي في طور جديد خطير، فضلاً عن أنه الشخصية الكبرى التي اتخذتها أحداث الفتنة الإسلامية محوراً لها؛ ولذلك أثر عنه طائفة كبيرة من الآراء في أدق مسائل العقيدة : في ذات الله وصفاته، وفي القدر، وخلق القرآن.(الدوري ، 2011م، ص:30)

وجملة القول: إن المسلمين في هذا العهد لم يتركوا النظر في مسائل العقيدة في معرض الإرشاد، وإنما تركوا التوغل والتكلف في النظر والحوار، وإنهم ما كانوا يلجؤون إلى شيء منه إلا في معرض إثبات عقائد الدين ودفع الخصوم المتربصين .

ثالثاً: العقيدة الإسلامية في عهد الأمويين (٤١ – ١٣٢هـ)

حدث تطور كبير لحالة العقائد الدينية في هذا العهد، فبرزت مشكلات عقائدية كثيرة أدت إلى تفرق المسلمين، واحتدام الحوار والجدل بينهم، واعتماد فريق منهم منهج النظر الفكري والاستدلال العقلي وسيلة لإثبات عقائدهم بخاصة وأصول الدين بعامة، وكان أبرز تلكم المشكلات وأكثرها حواراً وجدلاً مسألة (القضاء والقدر) التي أثارها معبد الجهني ، وتولاها من بعده غيلان الدمشقي ، ومسألتي (خلق القرآن) و الصفات الإلهية اللتين أثارهما الجعد بن درهم ، وتولاهما من بعده الجهم بن صفوان ، ومسألة الكبائر وحكم مرتكبيها التي أثارها الخوارج.

جاء في كتاب التبصير في الدين: " وظهر في أيام المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية، وكانوا يخوضون في القدر والاستطاعة كمعبد الجهني وغيلان الدمشقي وجعد بن درهم، وكان ينكر عليهم من كان قد بقي من الصحابة كعبد الله بن عمر (ت ٧٣ هـ) وعبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ) وعبد الله بن أبي أوفى (ت ٨٧هـ) وجابر (ت ٥٠هـ) وأنس (ت ٩٣ هـ) وأبي هريرة ت ٥٨هـ) وعُقبة بن عامر (ت ٥٨هـ) وأقرانهم، وكانوا يوصون إلى أخلافهم بألايسلموا عليهم، ولا يعودوهم إن مرضوا، ولا يصلوا عليهم إذا ماتوا" (الإسفراييني،1983م ،ج1 ، ص: 21)

وجاء في كتاب مفتاح السعادة: " إن رجلاً قال لابن عمر (ت ٧٣ هـ): ظهر في زماننا رجال يزنون ويشربون الخمر، ويقتلون النفس التي حرم الله، ثم يحتجون علينا ويقولون : كان ذلك في علم الله. فغضب ابن عمر وقال : (سبحان الله، كان ذلك في علم الله، ولم يكن علمه يحملهم على المعاصي. (طاشْكُبْري زَادَهْ ، 1985م ، ج2 ، ص: 143)

وجملة القول أنه في هذا العهد ظهر الخلاف بين الفرق التي أشرنا إلى مناشيء وجودها في العهد السالف واحتدم النزاع بينها. واعتمد هذا النزاع على كل وسائل الدفاع من جدل يقوم على أدلة نقلية وعقلية، ثم تولدت مسائل اعتقادية كانت موضع تجادل وتنازع وافترق المسلمون فيها فرقاً، فظهر علم الكلام على أيدي هذه الفرق خصوصاً المعتزلة(الدوري ، 2011م، ص:35)

جاء في كتاب مفتاح السعادة : " فاعلم أن مبدأ شيوع الكلام، كان بأيدي المعتزلة والقدرية، في حدود المائة من الهجرة. وقد ثبت في التواريخ الصحاح، أن إحياء طريقة السنة والجماعة، كان في حدود الثلاثمائة من الهجرة، لأن ظهور الاعتزال، كان من جهة واصل بن عطاء وكان وفاته في إحدى وثلاثين ومائة، وولادته في سنة ثمانين، فيصير زمان طلبه العلم، وقدرته على الاجتهاد، في حدود المائة تقريباً. وظهر أيضاً مذهب أهل السنة والجماعة، بالسعي الجميل، والإقدام المشكور، من جهة أبي الحسن الأشعري، في حدود الثلاثمائة، إذ كانت ولادته سنة ستين ومائتين، ودام على الاعتزال أربعين سنة. فيكون علم الكلام بأيدي المعتزلة مائتي سنة، ما بين المائة والثلاثمائة." (طاشْكُبْري زَادَهْ ، 1985م ، ج ٢ ص ٣٣)

ومما مر يمكن استخلاص النتائج الآتية:

1 – أن النظر العقلي في العقائد الدينية بدأ على أيدي الجهنية والجهمية والقدرية والمعتزلة، وكان ذلك في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة.

ب – أن أهم مسألتين سببتا الخلاف والنظر هما : مسألة (الصفات الإلهية)، ومسألةالقضاء والقدر

ج – إن الذين أثاروا هذه المسائل وبحثوا فيها كانوا من الموالي، وهم المسلمون الجدد الذين تركوا دياناتهم القديمة واعتنقوا الإسلام، إثر موجة الفتوحات الكبرى التي حملت الإسلام إلى الأراضي المفتوحة.

د – إن المذاهب السياسية والفرق الدينية التي نبتت في العهد السالف قد نمت و تميزت شخصيتها الفكرية والعقائدية في هذا العهد، وأهمها :الشيعة والخوارج، وفيه أيضاً ظهرت فرق دينية جديدة كان أهمها: القدرية والجبرية ، والمرجئة ، والمعتزلة.

هـ. أن التدوين والتأليف في مسائل الكلام قد بدأ في هذا العهد، إلا أنه لم يصل إلينا منه شيء.

رابعاً: العقيدة الإسلامية منذ عهد العباسيين (١٣٢هـ) وحتى العصر الحديث

يعتبر العهد العباسي العهد الذهبي بالنسبة لتدوين العلوم والمعارف الإسلامية ففيه ظهر التدوين وألفت الرسائل والكتب في علم الكلام. ألف فيه أهل الفرق منهم : واصل بن عطاء وله كتاب أصناف المرجئة، وكتاب (المنزلة بين المنزلتين) ، وكتاب الخطب في التوحيد والعدل، ومنهم : عمرو بن عبيد (ت ١٤٢هـ) ، وقد ذكروا له كتاباً في الرد على القدرية، ومنهم : هشام بن الحكم (ت ١٩٩ هـ) – متكلم شيعي – وله كتاب (الإمامة) وكتاب الرد على الزنادقة ، وكتاب الرد على أصحاب الإثنين ، وكتاب الرد على أصحاب الطبائع وكتاب (التوحيد) ، وكتاب (الرد على من قال بإمامة المفضول) وغير ذلك، وقد ذكرها ابن النديم في الفهرست. (ابن النديم ، 1997 م ، ص: 217)

كما ذكر متكلمي الجبرية وأسماء ما صنفوه من كتب ومتكلمي الخوارج وكتبهم. وما ألفه أهل السنة في العقائد منها كتاب (الفقه الأكبر) و (العالم والمتعلم) وهما منسوبان لأبي حنيفة (ت ١٥٠ هـ) وكتاب (الفقه الأكبر) وهو منسوب للشافعي (ت ٢٠٤هـ)

راج منهج النظر العقلي في تقرير العقائد الدينية والدفاع عنها الذي حمل لواءه المعتزلة وتجاوب معهم الشيعة، ولذا كانت وجهات النظر بينهما متفقة في كثير من مسائل هذا العلم، كنفي رؤية الله، وحدوث القرآن، ونفي الجبر عن أفعال العباد وقاعدة اللطف، ووجوب الأصلح، ونفي قدم الصفات الإلهية وأنها عين الذات، ومسألة الحسن والقبح العقليين والعدل، وكان من الطبيعي أن يتفق الفريقان في كثير من المسائل الفكرية والعقائدية، إلا أن المعتزلة كانوا أكثر تجرداً وأكثر اعتزازاً بأحكام العقل، فلم يحاولوا التوفيق بين العقل والنقل في حال التعارض، وإنما قرروا تأويل النقل والأخذ بحكم العقل بخلاف الشيعة الذين كانوا يحاولون التوفيق بينهما إن أمكن، وإلا أولوا النقل، ولهذا اختلف الفريقان في كثير من القضايا الفكرية والمسائل العقائدية وخصوصاً فيما يتعلق بالإمامة كالعصمة والغيبة.

أصبح الاعتزال هو المذهب السائد من بين المذاهب الكلامية لالتزامه بالمنهج العقلي واعتماده على المنطق والجدل، وحظي بتأييد السلطة السياسية ومساندتها له، مما أدى إلى ضعف المذاهب الأخرى ولا سيما الشيعة لاضطهاد السلطة لهم، والسلفيون لاعتمادهم المنهج النقلي.

دامت السيادة والقيادة للاعتزال أكثر من قرن من الزمان، ولكنه أخذ بعد ذلك في التقهقر والانحسار، وذلك يرجع إلى أسباب عدة أهمها:

1- غلو المعتزلة وإسرافهم في الاستدلال العقلي.
2- اتخاذهم القوة وسيلة لفرض آرائهم الدينية ووجهات نظرهم الفكرية
3- لجوؤهم إلى اضطهاد مخالفيهم في المعتقد وخصوصاً أهل السنة. (الدوري ، 2011م، ص:37)

هذه الأسباب وغيرها شدت من أزر المعارضة وجعلها تتحفز للقضاء عليهم ... وقد كان. فما إن انتهت الخلافة للمتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧) حتى أصدر أمره " بترك النظر والمباحثة في الدين، وترك ما كان عليه الناس أيام المأمون والمعتصم والواثق، وأمر الناس بالتسليم والتقليد، وأمر الشيوخ المحدثين – أصحاب النص والمنهج النقلي – بالتحديث وإظهار السنة" (المسعودي، 1409 هـ ،ج ٢ ص ٢٦٩)

استمرت موجة العداء الفكري للمعتزلة بعد المتوكل، وانتهى هذا الانقلاب السياسي ضدهم بانقلاب آخر فكري، وذلك بخروج أبي الحسن الأشعري (٢٦٠) –(٣٢٤) من صفوفهم ومبالغته في الرد عليهم بعد أن لبث فيهم طويلا (الدوري ، 2011م، ص:38)

بدأ الأشعري، بكتبه في الرد على مخالفي أهل السنة وخصوصاً المعتزلة وبطريقته في نصرة العقائد الدينية على مذهب السلف بالأدلة العقلية عهداً جديداً تزلزل فيه سلطان الاعتزال. وفي ذلك يقول صاحب مفتاح السعادة: " ودفع الكتب التي ألفها على مذاهب أهل السنة، وكانت المعتزلة قبل ذلك قد رفعوا رؤوسهم فجحرهم الأشعري، حتى دخلوا في أقماع السمسم" (طاشْكُبْري زَادَهْ ، 1985م ،ج ٢ ص ٢٣)

وجملة القول أن السيادة الفكرية ظلت للمنهج العقلي المتمثل في الاعتزال من مطلع القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ولئن حدت السلطة السياسية من غلوه وانحرافه فقد كان لأبي الحسن الأشعري الذي سلك مسلكاً وسطاً بين موقف السلف وتطرف المعتزلة، وأخذ يقرر العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ... أكبر الأثر في تزعزع كيان المعتزلة ودحرهم. وقد انتصر لمذهبه من بعده وسلك طريقته جملة من أكابر العلماء منهم:

القاضي الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) والإسفراييني (ت ٤١٨هـ) وأبو منصور البغدادي ت ٤٢٩هـ) وإمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨هـ) والغزالي (ت ٥٠٥هـ) والشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) وفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) وسمُّوا رأيه بمذهب أهل السنة والجماعة وقد قام هؤلاء بتوسيع تعاليمه وآرائه حتى انتهت جهودهم بتكوين المدرسة الكلامية التي تحمل اسم (الأشاعرة والأشعرية) وقد تمكنت هذه المدرسة بالاشتراك مع شقيقتها المدرسة الماتريدية من بسط نفوذهما على العالم الإسلامي منذ بداية القرن الرابع الهجري. وقد كان بين المدرستين الأشعرية والماتريدية نزاع وخلاف في بعض المسائل العقائدية انتهى بمرور الزمن إلى تسوية ووفاق.

أما المعتزلة كمدرسة فكرية فقد انقرضت، ولكن تعاليمها عاشت في الفرق الكلامية التي خلفتها في الفكر الإسلامي وخصوصاً الشيعة الذين كانوا ينهجون المنهج العقلي أيضاً كالمعتزلة، رغم ما كان بين المدرستين من نزاع وخلاف أكثره يتعلق بالإمامة. (الدوري ، 2011م، ص:39)

ومع ما كان للمدرسة الأشعرية من مكانة في العالم الإسلامي، فقد استمرت موجة العداء الفكري للنظر العقلي في العقائد في صفوف أهل الحديث وخاصة الحنابلة منهم ممن اشتدوا في الأخذ بالنص ولهذا سموا أحياناً النصيون أو الحرفيون والنقليون.

وقد بدأت هذه الحرب على علم الكلام السني في ثوبه الأشعري بشيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي (ت ٤٨١هـ) الذي ألف كتاباً في ذم الكلام وأهله) ثم تتابعت حملات الحنابلة على علم الكلام من بعده ممثلة في كتابات ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ) وابن الصلاح الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ) وابن تيمية الحراني ت ٧٢٨ هـ) (٢) وتلميذه ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) (الدوري ، 2011م، ص:39)

تصدى ابن تيمية للانتصار المذهب السلف، وبالغ في الرد على مذهب الأشاعرة، وصدع بالنكير عليهم وعلى الشيعة والصوفية. فافترق الناس فيه فريقين : فريق يقتدي به ويقول بأقواله ويعمل برأيه ويرى أنه شيخ الإسلام وأجل حفاظ أهل الملة الإسلامية، وفريق يبدعه ويصلله ويزري عليه بإثبات الصفات وينتقد عليه مسائل منها ما له فيه سلف ومنها ما زعموا أنه خرق فيه الإجماع، وقد تبنى أفكار ابن تيمية ونادي بها وتحمس لها الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية في القرن الثاني عشر الهجري، ولهم الغلبة اليوم في المملكة العربية السعودية وأتباع في مختلف الأمصار الإسلامية.

عمل هؤلاء على إحياء مذهب السلف على طريقة الحنابلة الذي يقوم على أخذ العقائد من الكتاب والسنة فقط، فقاوموا بعنف المنهج العقلي الذي كان ينادي به المعتزلة، والذي عاش في مدرسة الشيعة كما قاوموا منهج الأشاعرة الذي يقوم على تقرير العقائد الإيمانية بالبراهين العقلية واشتدت مقاومتهم لمنهج المتأخرين من الأشاعرة الذين توغلوا في مطالعة كتب الفلسفة حتى التبس عليهم شأن العلمين الكلام والفلسفة فحسبوه واحداً واختلطت مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث صار لا يتميز أحد الفنين عن الآخر كما فعل البيضاوي (ت ٦٦١ هـ) في كتابه (الطوالع) وعضد الدين الإيجي (ت ٧٠٥هـ) في كتابه (المواقف)) ١.(

ثم ضعفت الهمم عن الدراسات القوية لعلم الكلام حتى صار من الممكن القول بأن المسلمين لم يأتوا بعد هذا الوقت بجديد ولا بمبتكر في عالم الفكر الأصيل، ولم يبق بين الناظرين في كتب السابقين إلا تحاور في الألفاظ وتناظر في الأساليب، على أن ذلك في قليل من الكتب اختارها الضعف وفضلها القصور. (محمد عبده، رسالة التوحيد ص ٢٢)

أما النهضة الحديثة لعلم الكلام فتقوم على نوع من التنافس بين أتباع المدارس التوفيقية المتوسطة من أشاعرة وماتريدية وبين أتباع مذهب النص، من أتباع الإمام تقي الدين ابن تيمية الحراني وتلميذه ابن قيم الجوزية الذين أطلقوا على

أنفسهم لقب (السلفية) وأتباع المذهب العقلي الذي تمثله مدرسة الشيعة الإثني عشرية اليوم (عرفان،1976م. ص ١٤٩)

خاتمة

فقد انتهينا – بتوفيق الله تعالى – من دراسة هذا البحث والذى بعنوان : (تاريخ العقيدة الإسلامية) وقد خرجت من هذه الدراسة بنتائج من أهمها :

- العقيدة الإسلامية في زمن النبي– صلى الله عليه وسلم – عقيدة واحدة هي ما جاء في كتاب الله، والسنة النبوية المطهرة ، لأنهم أدركوا زمان الوحي وشرف صحبة صاحبه.
- إن المسلمين في عهد الخلافة الراشدة لم يتركوا النظر في مسائل العقيدة في معرض الإرشاد، وإنما تركوا التوغل والتكلف في النظر والحوار، وإنهم ما كانوا يلجؤون إلى شيء منه إلا في معرض إثبات عقائد الدين ودفع الخصوم المتربصين.
- أن التدوين والتأليف في مسائل الكلام قد بدأ في عهد الأمويين ؛ إلا أنه لم يصل إلينا منه شيء.
- يعتبر العهد العباسي العهد الذهبي بالنسبة لتدوين العلوم والمعارف الإسلامية ففيه ظهر التدوين وألفت الرسائل والكتب في علم الكلام.
- العصر الحديث شهد تحديات فكرية جديدة تتطلب تجديدًا في عرض العقيدة بأساليب تناسب ثقافة العصر، دون الإخلال بالثوابت الشرعية.

المراجع والمصادر

ابن كثير، إسماعيل. 1419 هـ. تفسير القرآن العظيم. ط1.بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق. 1997 م. الفهرست.ط2.بيروت: دار المعرفة .

ابن هشام ، عبد الملك..1955م. السيرة النبوية.ط2. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. 2002 م .تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد.ط1.بيروت : دار الغرب الإسلامي.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ

الإسفراييني، طاهر بن محمد. 1983م .التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين تحقيق: كمال يوسف الحوت.ط1. لبنان : عالم الكتب.

طاشْكُبْري زَادَهْ ، أحمد. 1985م .مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم .ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

عرفان، عبد الحميد.1976م. دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية .بغداد:مطبعة الإرشاد.

الدوري ، قحطان. 2011م. أصول الدين الإسلامي. ط2. بيروت : دار الإمام الأعظم.

المسعودي، على بن الحسين . 1409 هـ مروج الذهب ومعادن الجوهر.تحقيق: أسعد داغر.قم : دار الهجرة.

مسلم ، أبو الحسن القشيري.دت. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- صحيح مسلم- بيروت : دار إحياء التراث العربي.

الواحدي، علي بن أحمد. 1411 هـ. أسباب نزول القرآن .ط1.بيروت : دار الكتب العلميّة.